

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ


## تقديم الشيخ: د / عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وبعد :  
فقد قرأت هذه الرسالة التي كتبها الأخ عبد الله بن محمد السدحان ، وقد أبدع في اختياره لهذه المواعظ والنقول المفيدة ، وقد أجاد وأفاد وحصل على المراد ، وما ذاك إلا لما شاهده من تهافت الكثير من المسلمين في الذنوب ، وإصرارهم على الكبائر ، وعدم مبالاتهم بعواقبها السيئة .

ولاشك أن الذنوب والخطايا سبب لمحق البركات وإنزال العقوبات ، وإن ما حلّ بالأمم السابقة إنما هو عقوبة عاجلة على كفرهم وشركهم واستمرارهم على المعاصي والمخالفات ، وأن العقوبة الآجلة أشد وأبقى ، وقد قال ﷺ في بعض المعذبين في الدنيا : ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ** ﴾ الحشر/ ٣٠ .

ومع ما نسمع ونقرأ ، ومع كثرة المواعظ والوعبر والنصائح نشاهد الكثير من الدول والأفراد والجماعات ممن يفتخرون بالإسلام يُصرون على كبائر المحرمات ، وقد يفتخرون بعملها ، ويتمدح أحدهم بما عمله وكأنه حسنة يؤمل الثواب عليها ، وذلك من الغرور وتسويل الشيطان ، فعلى المسلم أن يقبل على ربه ويصلح عمله ، ويصدق التوبة ، ويكثر من الأسف والندم على ما فرط فيه من عمره ، والله تعالى يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .  
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الرحمن بن عبد الرحمن الجبرين  
عضو افتاء متقاعد



## المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونصلى ونسلم على نبينا محمد : الرحمة المهداة ، أرسله الله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، ففتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً . وبعد :

فكثيراً ما يشتكي العباد من قسوة القلوب ومحق البركات ووساوس الشياطين والانشغال بالدنيا عن الدين .

وغفلوا عن قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ابراهيم / ٤٢ .

قال ميمون بن هارون رضي الله عنه في معنى هذه الآية : ( هي تعزية للمظلوم ووعيدٌ للظالم ) .  
وقال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه : ( نحن نسل من نسل الجنة سبانا إبليس منها بالمعصية ، وحقيق على المسيء أن لا يهنأ بعيشه حتي يرجع إلى وطنه ) .

فإذن : **ما هذا إلا ثمرة المعصية وشؤمها** ، قال الله ﷻ : ﴿ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ **ما لكم كيف تحكمون** ﴿ القلم / ٣٥ - ٣٦ ، وقال ﷻ : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الجناية / ٢١ ، وقال ﷻ : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ص / ٢٨ .

وسبب المعصية كما قال شيخ الإسلام رضي الله عنه : ( إن صاحب المعصية يحدوه في ذلك الغفلة والشهوة وهي أصل الشر ، قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ الكهف / ٢٨ ، والهوى لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل ، وإلا فصاحب الهوى إذا علم أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع ، ولذلك يقول الصحابة : كل من عصى الله فهو جاهل ) .

ولكن هذا المسكين **لا يعذر بجهله** ، فلا بد من تدبّر العواقب وما تجرّه المعاصي من شؤمٍ على صاحبها في الدنيا والآخرة - عياذاً بالله من ذلك - ، لأن العاصي حين يعصي : يعصي من ؟ إنه يعصي ملك الملوك !

قال بلال بن سعد رضي الله عنه : ( لا تنظر إلى صِغَر الخطيئة ، ولكن انظر إلى **عِظَم من عصيت** ) .

**والذي دعاني إلى كتابة هذا البحث هو** : تساهل كثيرٍ من المسلمين للأسف الشديد في

اقتراف المعاصي ، وتصورهم أن مجرد التوبة فقط كافٍ في محو الذنوب !

يقول ابن القيم رحمه الله : ( الذنوب جراحات ، ورُبَّ جُرح وقع في مقتل ) .

ووالله إنه لا يكفي مجرد اسم التوبة ؛ بل لا بد من الندم والخوف وملازمة الاستغفار ، مع

بذل الحسنات وأعمال البرحتى نكون من المقرّبين الناجين ، قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ**

**وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ لفرقان/ ٧٠ ،

وقال : ﴿ **وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا** ﴾ لفرقان/ ٧١ .

فيا أخي المسلم : إذا نازعتك نفسك في المعصية وفكرت فيها وعزم قلبك على

اقترافها فاقراً ما ورد في شؤم المعصية وعاقبتها في ثايا هذه البحث ، وتذكّر عظمة

خالقك ، وفضله عليك ، الذي أنعم عليك نعمة الصحة والعافية ، ولولاهما لما

استمتعت بهذه المعصية ، وقد لا تتمكن منها ، ووازن يا أخي الكريم بين الأمور فإنما

هي لذّة لحظاتٍ ، أرجو أن تذكر معها مرارة الحرمان ، **ولا خير في لذّة عاقبتها نار** .

**أسأل الله أن يعصمني وإياك من كل سوء ومكروه** .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسّن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهّل في بلوغ

رضاك سُبُلنا ، وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة

وقنا عذاب النار ، برحمتك يا غفّار ، وصلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ..

## تمهيد

## منشأ المعصية

## \* أول ذنب عُصي الله به في السماء (١):

هو حسد إبليس لآدم حيث لم يمثل لأمر الله في السجود له، وذلك ناتج عن كبر وغرور وعزة .

بعد ذلك عصيان آدم وحواء حينما أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن أكلها وذلك بتحريض من إبليس - لعنه الله -، ثم تاب وقبل الله منهما التوبة، وذلك: (لأن ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي، لأن آدم نهى عن أكل الشجرة فأكل منها، فتاب الله عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه (٢)، لأن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، ولا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ويدخلها من مات على التوحيد، وإن زنى وسرق). (٣)

إذاً من ترك شيئاً من أوامر الله كالصلاة ونحوها فهو بلا شك في خطر عظيم.

## فما أثر معصية آدم وحواء على ذريتهما؟

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر». (٤)  
أي أن حواء خانة آدم في إغرائه وتحريضه على مخالفة الأمر بتناول الشجرة، فزرع العرق في بناتها بسبب شؤم المعصية، وليس المراد بالخيانة هنا الزنا.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠.

(٢) لأنه امتنع أصلاً من التوبة فلم يتب الله عليه، وإلا فإن الله تواب رحيم، لأنه ﷻ يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

(٣) الفوائد لابن القيم ٢٠٥.

(٤) رواه مسلم / مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم الحديث ٨٦٤ ص ٢١٩، وهذا جزء من الحديث.

ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أي رب ! من هؤلاء؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : أي رب من هذا؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ، قال : رب وكم جعلت عمره ، قال ستين سنة ، قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال : أولم تعطها ابنك داود؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ! وخطئ آدم فخطئت ذريته !» (١)

فنسيان آدم نسيانه النهي عن أكل الشجرة ، فنزع ذلك في ذريته بسبب شؤم المعصية ، وأخطأ هو وزوجه فأكلا من الشجرة ، فنزع ذلك الخطأ في ذريته بسبب شؤم المعصية ، وجحد آدم حينما أعطى من عمره لابنه داود ، فنزع ذلك في ذريته بسبب شؤم المعصية .

### ✳ أول ذنب عصي الله به في الأرض (٢) :

هو حسد قابيل لأخيه هابيل حتى قتله ، ففي الحديث : عن الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها ، ذلك بأنه أول من سنَّ القتل» (٣) .  
فما من إنسان يقتل ظلماً إلا ويلحق بعض إثمه قابيل ، وذلك بسبب شؤم المعصية.

(١) أنظر صحيح الترمذي للأبائي ٥٣/٣

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٦٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه من طريق الأعمش انظر : الفتح ١٢/١٩٨ ، رقم الحديث ٦٨٦٧ .

## الفصل الأول

### أسباب المعاصي

للمعاصي أسباب ودواعٍ يرجع مجملها إلى أمور ثلاثة، يلخصها ابن القيم **رحمته** فيما يلي:  
 تعلق القلب بغير الله، ويؤدي ذلك إلى الشرك.  
 طاعة القوة الغضبية، ويؤدي ذلك إلى الظلم.  
 طاعة القوة الشهوانية، ويؤدي ذلك إلى الفواحش.  
 فغاية التعلق بغير الله : الشرك ، وأن يدعى معه إله آخر.  
 وغاية طاعة القوة الغضبية : القتل .  
 وغاية طاعة القوة الشهوانية : الزنا .

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله **رَبِّكَ** : **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾** الفرقان/ ٦٨.  
 وهذا الثلاثة (يدعو بعضها بعضاً، فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن التوحيد والإخلاص يصرفها عن صاحبه).<sup>(١)</sup>

وهذا تالله هو حاصل واقعنا المير ، حيث تسلط أرباب الكفر على رقاب المسلمين بلا هوادة ولا رحمة، فلا تكاد تسمع بمأساة في جميع أرجاء العالم إلا وللمسلمين النصيب الأكبر من تلك الأمور الثلاثة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، وهذا بسبب شؤم المعاصي عياداً بالله منها.

(١) الفوائد لابن القيم ١٣٨ - ١٣٩ بتصرف يسير.

## الفصل الثاني

### آثار المعصية في الأمم السابقة

#### ★ يوسف عليه السلام :

عن الحسن قال النبي ﷺ : « رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث ، قوله: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، ثم يبكي الحسن ويقول: ونحن إذا نزل بنا أمر فرعنا إلى الناس! (١) »

#### ★ إخوة يوسف الأحد عشر و ( بنو إسرائيل ) من ذريتهم :

وما جاء في قصتهم في القرآن مع أخيهم يوسف ، وهي معروفة ، وفيها : قولهم: ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مَثَا ﴾ ، فنشأ من ذلك الحسد ونزع في ذريتهم ذلك ، وقولهم: ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، فنشأ من ذلك الافتراء والكذب ونزع ذلك في ذريتهم، وقوله تعالى على لسان أخوة يوسف: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾ ، فمن شؤم معصيتهم أن نشأ الحرص على إنفاذ مصالحتهم بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى القتل في سبيل تنفيذ مخططاتهم ونزع ذلك في ذريتهم (٢) ، وقولهم: ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ ، فنشأ من ذلك حب المال ونزع ذلك في ذريتهم ، واندرجت تلك الصفات الذميمة في نسلهم من بني إسرائيل، وسكنوا مصر، ثم ظلوا تحت حكم فرعون، فبطش بهم، وأذاقهم الذل والهوان، فقتل أبناءهم، واستحيا نساءهم .  
ثم بعث الله نبيه موسى عليه السلام ليخرج بني إسرائيل من حمأة الذل لعلهم

(١) الزهد للإمام أحمد ص: ١٠٣. علق شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ بقوله: (ليس في قوله: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ما يناقض التوكل، بل قد قال يوسف: ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ، وقوله: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ مثل قوله: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضا للتوكل ولا هو من سؤال الإمارة المهية عنه وليس فيه إلا مجرد أخبار الملك به ليعلم حاله ليتبين الحق ، ويوسف كان من أثبت الناس) / انظر الفتاوى م ١٥ ص ١١٣/ ١١٤ بتصرف.

(٢) وانظر إلى المجازر التي ترتكب من يهود هذا الزمان فما مصيبة من في العالم إلا وراعاها يهود في سبيل تنفيذ بر وتوكلاتهم ومخططاتهم لعنهم الله وعجل بهلاكهم وزوالهم ونصر الإسلام المسلمين آمين.



يشكرون، وتبدأ قصة طويلة عجيبة تبدأ بتكريمهم حيث يقول الله ﷻ: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ البقرة/٤٧. وتفضيلهم هنا: أي بكثرة الأنبياء فيهم، وإيثارهم بالنعم وإغراق عدوهم فرعون في البحر الذي عبروه، ومع ذلك التكريم فقد سرقوا ذهب المصريين وأموالهم، وذلك لحبهم المال. وأدهى من ذلك صناعتهم للعجل من الذهب بعد العبور وعبادتهم له بعد زهاب موسى إلى ميقات ربه! فسرى فيهم غضبُ الله بشؤم معصيتهم إلى قيام الساعة، إلا المؤمنون منهم حيث يقول الله ﷻ: ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ البقرة/٩٣، ولما كان العجل مصنوعاً من الذهب صار حب الذهب في نفوسهم حيث نجد الآن أصحاب رؤوس الأموال والاحتكارات هم من اليهود.

ومن صفاتهم الذميمة: العناد، والعصيان، واختلافهم على أنبيائهم. فمن ذلك عندما أمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة حتى تُغفر لهم ذنوبهم ويتوب الله عليهم: ﴿ قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ الأعراف/١٦٢. فقالوا استهزاءً: حنطة حنطة.

ومن ذلك قصة البقرة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ البقرة/٦٧. فكان من شؤم مشاقتهم وجدالهم أن شدد الله عليهم في الطلب، ونزع ذلك في ذريتهم.

ومن ذلك قصة أصحاب السبت وشؤمهم في الكيد والاحتيال أن مسخوا قردة وخنزير. ومن ذلك قصة طعام الجنة (المن والسلوى)، الذي لا يملُّ أكله، لأنه طعام كلي لا تملُّه النفس<sup>(١)</sup>، وليس بنسيبي، ولكن لما جُبل عليه بنو إسرائيل من العناد طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو الله أن يعطيهم من نبات الأرض من القثاء والفوم والعدس والبصل واستبدلهم الأدنى بالذي هو خير، حينما كانوا في سيناء، فكان من شؤم معصيتهم أن أهبطهم الله أرض مصر، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وباؤا بغضب من الله، وصار ذلك باقياً فيهم وأجيالهم من بعدهم الذين لم يهتدوا إلى الحق.

ومن شؤم معصيتهم أن الله أمرهم ألا يدخروا الطعام، وكان الطعام حينئذٍ لا يتغير ولا ينتن حتى لو مرَّ عليه الوقت الطويل، ولكن ما جُبل عليه بنو إسرائيل من العناد

(١) لأنه من طعام الجنة.

والمخالفة أدى إلى ادّخار الطعام، فخبث الطعام بشؤم معصيتهم من ذلك الوقت. (١)  
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم  
 يخنز اللحم». (٢)

### ✽ شؤم فرعون على نفسه وأهل بيته وزبانيته :

حيث أصابتهم اللعنة في الدنيا: «وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ» غافر/٤٥. حتى  
 كنوزه لم تسلم من اللعنة عياداً بالله فلا يقتنيها أحداً إلا أصابه شؤم تلك اللعنة (٣)، ومن  
 هنا عرفت تلك الكوز (بلعنة الفراعنة!)، أما في الآخرة: «التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُلُوًّا  
 وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» غافر/٤٦

### ✽ أقوام صالح وشعيب وهود ونوح ولوط عليهم السلام :

أقوام أهلكوا وأبيلوا بالصيحة والريح والغرق والحجارة من السماء، ومن شؤم  
 المعصية: أنها لا تُسكن ديارهم ولا يُشرب من آبارهم، وفقدان علومهم في فن النحت في  
 الجبال، ومعرفة أماكن المياه والمعادن تحت باطن الأرض (٤).

وبقيت آثارهم دليلاً عليهم، وإثباتاً لتفوقهم الذي تعجز معه أدق الآلات في وقتنا

- (١) ولم نتجح إلى أجهزة تبريد اليوم لحفظ الأطعمة، ويعتبر هذا تاريخياً بداية نشوء الجرائم السابحة في الجو.
- (٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني رقم الحديث ٨٦٤، ص: ٢١٩.
- (٣) أي لعنة الله كما في قوله: «وَأَبْعَثْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ» القصص/٤٢، لا كما يزعمه علماء الآثار أن فرعون وضع على ممتلكاته وكنوزه طلاسم، وأن من اقتناها حلت عليه لعنة فرعون وما وجد من كتابات هيروغليزية فهي ممن جاء بعدهم ممن عجز عن اقتناء تلك الكوز بسبب لعنة الله عياداً بالله.
- (٤) وهو ما يعرف علمياً (بالموجة الذاتية) وتسمى (العصا الكاشفة) ويستدل بها على أماكن المياه والمعادن والنحت عن طريق مغناطيسية الأرض بواسطة الأشكال الهندسية وهو علم لا يزال مجهولاً، ولا توجد في الوقت الحاضر إلا آثاره على نطاق ضيق، وكان ذلك بسبب شؤم المعصية، ولذلك تأتي معجزة كل نبي تشاكل ما عند القوم من القوة فقوم موسى - عليه السلام - برعوا في العصا الكاشفة حتى استخلمت في السحر: «فَأَلْقُوا حَبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمُ» الشعراء/٤٤، فجاءت معجزة موسى عليه السلام العصا لتقلب إلى ثعبان حقيقي وتستبطن العيون على وجه الأرض، وتببس البحر حقيقة بإذن الله! وكذلك قوم عيسى عليه السلام برعوا في الطب فجاءت معجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله. واستخدم قوم صالح فن النحت في الجبال وصوروا التماثيل عليها فجاءت معجزة صالح عليه السلام الناقة التي خلقت من الجبل! وجاء قوم محمد ﷺ فبرعوا في الشعر والبيان فجاءت معجزته القرآن باقية إلى قيام الساعة ببيانه البديع وعلومه العظيمة مما يدل على بقاء العلم ولكتاب إلى قيام الساعة.

الحاضر أن تدحت مثل نحتهم ، فهم ظلموا أنفسهم ، وأول من اعترف بذلك أبوهم آدم عليه السلام حيث قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف/ ٢٣ ، وقال عن هؤلاء: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ<sup>(١)</sup> خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ النمل/ ٥٢ .

### ✽ سرُّ تعذيب الكفار في نار جهنم العذاب الدائم :

قال ﷺ عن الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا<sup>(٢)</sup> عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الأنعام/ ٢٧ - ٢٨ .

تأملت هذه الآيتين فتعجبت كثيراً فحينما يلقي الكفار في نار جهنم - أعادنا الله منها - فيلقون شدة العذاب فيتمنون الخروج ليعملوا عملاً صالحاً ، فيردُّ عليهم العزيز الجبار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ، ويزول عجبك حينما تعلم أن الران قد غطى قلوبهم فأصبحت قاسية كحجارة جهنم، بل أشد قسوة فلا تتأثر بالخير لعدم قابلية المحل، فأصبحوا بشؤم المعصية وقوداً للنار وطعاماً لها لا تتقدُّ إلا بوجودهم ، فخلدوا فيها.

قال ﷺ عن النار: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ البقرة/ ٢٤ ، فلم يظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

روى أحمد ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير (أي تأثير الحصار في جنب النائم) عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها (أي خالطته) نُكِبَتْ فيه نكبة ببيضاء ، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا (الحجر الأملس) ، لا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مُرَبِّدًا (أي شدة البياض مع السواد) كالكوز مجخياً (أي منكوساً) ، لا يعرفُ معروفاً ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه» .<sup>(٣)</sup>

(١) وانظر: إلى كلمة بيوتهم وفي آية أخرى ﴿مَسَاكِنُهُمْ﴾ القصص/ ٥٨ ، لا كما يزعمه علماء الآثار وأذنبيهم من أنها مقابر قد شيّدوها ومدافن نحتوها، بل أصبحت تلك المساكن مقابر لهم بعد حلول العذاب واللعنة عليهم عياداً بالله منها.

(٢) وقفا: أي ادخلوها، ونصر ذلك المعنى الزجاج في كتابه معاني القرآن ٢/٢٦٢ فقال: أي ادخلوها.

(٣) أنظر صحيح الجامع للألباني رقم الحديث (٢٩٥٧).

## الفصل الثالث

### ☆ أثر المعصية في أمة ممدوحها الله عليه وسلم

#### ☆ الرجل الذي قال لمحمد ﷺ: « ما عدلت! » :

عن أبي سعيد قال: قال علي رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ، بنهبة وتربتها وكان بعثه مصداقاً إلى اليمن، فقال: « أقسمها بين أربعة: بين الأقرع بن حابس، زيد الطائي، وعيينة بن حصن الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري »، فقام رجل غائر العينين، ناتئ الجبين، مشرف الجبهة مخلوق، قال: والله ما عدلت! فقال: « ويلك من يعدل إذا لم أعدل إنما أتألفهم »، فأقبلوا عليه ليقتلوه، فقال: « اتركوه فإنه من ضئضئي هذا قوم يخرجون في آخر الزمان يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ». (١)

فخرج الخوارج (٢) وأحدثوا ثلثة في تاريخ الإسلام بشؤم معصية أبيهم لأجل كلمة! (٣)

#### ☆ إخفاء ليلة القدر :

في الحديث أن النبي ﷺ قال: « يا أيها الناس إنها كانت أُيِّنت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يحْتَنقان، معهما الشيطان، فنسيتها » (٤) الحديث. فأخفيت ليلة القدر بشؤم المعصية وهي تلاحي الرجلين، فاختفى خير عظيم!

(١) حديث صحيح كتاب السنة لأبي عاصم تحقيق الألباني ص: ٤٢٧، ٤٢٦.

(٢) يبدو لي والله أعلم أن الحجاج كان يستأنس بهذا الحديث مما جعله يسرف في القتل!

(٣) أنظر إلى هذه الكلمة: وهي مجرد كلمة كيف برحمت في جيناته الوراثية وتتابع في ذريته ليأخذ شؤم المعصية بعداً آخر، وصدق رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليكلم بالكلمة من سخط الله يخر بها في النار سبعين خريفاً ».

(٤) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني رقم الحديث ٦٣٧، ص ١٧٠ ومعنى: يحْتَنقان كل يطلب الحق لنفسه مع رفع الصوت.

### ★ الناقة الملعونة :

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعلتها، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة). قال عمران: فكأنني أراها تمشي في الناس ما يعرض لها أحد (١)!. وذلك بسبب شؤم المعصية فتركت حتى ماتت! ويقاس على ذلك كل شيء لعنه ابن آدم، عياداً بالله من ذلك.

### ★ دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم على مضر :

في قوله: « اللهم أشد وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسني يوسف ». فتتبع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين حتى أكلوا القدَّ والعظام بشؤم معصيتهم ودعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونال ذلك الجذب أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وبدعائه عمَّت العقوبة الجميع، حتى شدوا على بطونهم الحجارة من الجوع (٢).

### ★ منع القطر :

قال أبوهريرة رضي الله عنه: (إن الحباري لتموت في وكرها من ظلم الظالم)، وقال مجاهد: (إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول هذا بشؤم معصية ابن آدم)، وقال عكرمة: (دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم) (٣).

وقال انس بن مالك رضي الله عنه: (إن الضب في جحره يموت هزلاً بذنب ابن آدم). (٤)  
يقول ابن القيم: فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى يبوء بلعنة من لا ذنب له! (٥)

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص: ٤٨٠ - ٤٨١، رقم الحديث ١٨٢٠.

(٢) تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص: ٢٣٣.

(٣) الجواب الكافي لابن القيم ١٦.

(٤) تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص: ٢٣٣.

(٥) الجواب الكافي لابن القيم ص: ١٦. المراد بمن لا ذنب له سائل الدواب والبهائم كما في الأثر المتقدمة.

### ✽ عقاب الله يعمُّ الصالح والطالح :

قال **عَلِيٌّ**: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** ﴾ الأفعال/٢٥.

قالت زينب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « **نعم إذا كثرت الخبث**». وقد أغرق الله أمة نوح عليه **لِسَلام** كلها بأطفالها وبهائمها، بذنوب المكلفين، وعاداً بالريح العقيم، وثمود بالصاعقة، وقوم لوط بالحجارة، ومسوخ أصحاب السبت قردة وخنازير، وعذب بعدايبهم الأطفال، فإن قيل كيف يعاقب الله العامة بظلم الخاصة، وقد تبرأ من الظلم حيث يقول: ﴿ **وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ ق/٢٩؟ أجبتهم بقول إياس بن معاوية فإنه قال: قلت لبعضهم: ما الظلم في كلام العرب؟ فقال: أن يأخذ الرجل ما ليس له، قلت: فإن الله تعالى له كل شيء **(١)** ثم يعثهم الله على نياتهم.

### ✽ قول النبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** للصحابة: ( قوموا عني ) :

عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: ( لما حضر رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: « **هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**». فقال عمر: (إن رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله) **(٢)**. فاختلف من في البيت، فقال قوم: قربوا يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً! وقال قوم: ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال لهم: « **قوموا عني** » **(٣)**. قال عبيدالله: وكان ابن عباس يقول: (إن الرزية كل الرزية ما فات من الكتاب الذي أراد رسول الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن يكتب أن لا تضلوا بعده أبداً لما كثر لغطهم واختلافهم) **(٤)**.  
ففي الحديث أن الاختلاف قد يكون سبباً في حرمان الخير.  
وهذه بعض آثار شؤم المعصية على أمة محمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(١) تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة ص: ٢٣٦..

(٢) ظهر لعمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن الأمر ليس للوجوب وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح فكرة أن يشقَّ على النبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وهو في تلك الحالة مستحضراً قوله تعالى: ﴿ **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾.

(٣) رواه البخاري ١١٤، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦، ومسلم ١٦٣٧ (٢٢).

(٤) كتاب الطب للإمام النسائي ص: ٤٤ تحقيق سامي التونسي.

## الفصل الرابع

أهمور ذطييرة لايظنن لها العبد ، شؤمها شذيع وو قوعها سريع

✦ عقوق الوالدين وقطيعة الرحم :

قال النبي ﷺ : « بُرُوا آبَاءَكُمْ تَبْرُكُمْ أَبْنَاءُكُمْ » (١).

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : (طوبى للمؤمن ثم طوبى له ، كيف يحفظ الله ﷻ ولده من بعده) (٢) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يبسط عليه رزقه ، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه » (٣).

هذا فيمن بر والديه ووصل رحمه ، أما من عققهما وقطع رحمه ، فالويل كل الويل له ، والصد بالصد ، فمن زرع العنب حصد العنب ، ومن زرع الشوك لا يحصد إلا الشوك ، وكما تدين تدان ، حتى قيل : صلاح الأباء يدرك الأبناء (٤) ، ففي حديث لأبي هريرة رضي الله عنه : (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم ، قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك) (٥).

يقول ابن الجوزي : (كان بعض العاقين ضرب أباه وسحبه إلى مكان ، فقال له الأب : حسبك إلى هنا سحبت أبي!) (٦).

فلا تعجب إذا رأيت كثرة العقين فهم يسلدون ديناً سابقاً نسيه أبأؤهم ولم يفظنوا إلى قوله ﷻ : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ » ق١٨ ، وهذا بسبب شؤم للعصية السابقة.

(١) حديث صحيح ، انظر : التوافخ العطرة للصفدي ص : ٨٦.

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد ص : ٧٢.

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني ص : ٤٧٠ ، رقم الحديث ١٧٦٢ .

(٤) يدل عليه قوله تعالى : « وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » لكهف/٨٢ .

(٥) مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني ص : ٤٧١ ، رقم الحديث ١٧٦٤ .

(٦) صيد الخاطر لابن الجوزي ص : ٣٩١ .

## ✽ الزنا ومقدماته :

فمن زنا والعياذ بالله أو فعل شيئاً من مقدماته : كالغزل ونحوه ، فإنه يتسبب بشؤم المعصية على أهل بيته وأمه وأخته وزوجته وابنته ، قال الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الاسره/٣٢ ، وانظر إلى كلمة : (ولا تقربوا) ، ولم يقل : (ولا تقتربوا) حتى مقدمات الزنا لها عقاب رادع ، وهذا جانب من شؤم المعصية .

وأما الجانب الآخر فاقراً معي هذا الحديث العجيب : في سنن ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال : ( كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل بوجهه ، فقال : « يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن : ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا .. » <sup>(١)</sup> . فالأمراض الناتجة عن الشذوذ ، والانحراف الجنسي ، يترجمها هذا الحديث حرفياً ، وهذه الأمراض لها صفات مميزة عن جميع الأمراض الأخرى مما يدل على أنها عقوبة إلهية - عياداً بالله منها - فمن هذه الصفات <sup>(٢)</sup> :

### أولاً : المناعة الطبيعية :

إذا أصيب إنسان بمرض جرثومي كالحصبة مثلاً ، وقلد له الشفا ، تتكون بقلرة الله مضادات طبيعية ضد مسببات المرض تساعد بإذن الله على شفائه ، إلا المرض الجنسي ، فالأمر يختلف تماماً فهو محروم ، إذ قد يصاب بالمرض ثانية فور الانتهاء من الإصابة الأولى !.

### ثانياً : الوسط وطريق الانتقال :

جراثيم الأمراض الجنسية لا تصيب إلا الإنسان ولا تعيش إلا عليه ، فهي لا تعيش على الحيوان ، ولا تنتقل إلى الإنسان إلا عن طريق واحد فقط وهو الجنس أو ما يؤدي إليه مما هو من شؤم المعصية ، بل صار بعضها ينتقل عن طريق الدم واللعب أيضاً !

(١) رواه ابن ماجه رقم ٤٠١٩ ، وأبونعيم في الحلية ٣٣٣/٨ ، وفيه ابن أبي مالك ، والحكم ٥٤٠/٤ ، وقال

الذهبي : صحيح الإسناد ، وقال الألباني في طريق الحاكم : العمدة في الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٦ .

(٢) كتاب الأمراض الجنسية عقوبة إلهية د/ عبدالحميد القضاة ص : ١٣ .



### ثالثاً: جرثومة الزهري تتحدى العلماء في العالم:

أغلب الأمراض المعدية أمكن عزلها وزراعتها صناعياً في المختبرات ودراستها إلا جراثيم الأمراض الجنسية: كفيروس التآليل الجنسية والزهري مثلاً، فقد استعصت على الزراعة، وبالتالي لا يعرف عنها إلا النزر اليسير. هذا الغموض الذي يلف أنواع هذه الجراثيم دون غيرها مرده أنها عقوبة إلهية: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الفتح/٤.

### رابعاً: خاصية القلدة:

تتمتع جراثيم الأمراض الجنسية بخاصية لا تمتلكها الجراثيم الأخرى، فجرثومة الزهري مثلاً لولبية الشكل كالأفعى، وذات طرفين حادين ولها مقدره عجيبة على اختراق جلد الأعضاء التناسلية والشفاه لتدخل الجسم، في حين يشكل الجلد السليم مانعاً طبيعياً يحمي الجسم من الجراثيم التي تحط مع الغبار، ففيه مواد دهنية تساعد على قتل ومنع دخول الجراثيم، فتضطر للدخول عن طريق آخر كالرثبين مع الهواء والمعدة والأمعاء مع الطعام والشراب، لكن هذه الدفاعات الطبيعية تنهوى أمام جرثومة الزهري.

### خامساً: الازدواجية (التعددية):

ممارسة الجنس ولو لمرة واحدة مع طرف آخر مصاب يمكن أن يؤدي إلى العدوى ليس بمرض واحد فقط، بل بعدة أمراض قد تصل إلى خمسة دفعة واحدة!

### سادساً: الوقاية:

أغلب الأمراض الجرثومية المعدية استطاع العلم إعداد أمصال لها، أما الأمراض الجنسية فالوضع يختلف تماماً!

### سابعاً: انتشار متعدد:

أمر طبيعي أن تنتقل الأمراض المعدية من إنسان إلى آخر مسببة له نفس المرض، أما جراثيم الأمراض الجنسية فتتعدى آثارها من المصاب إلى غيره، فالمصابة بمرض زهري - أعاذنا الله منها - تورث هذا المرض إلى أبنائها خلقياً أو أثناء عملية الولادة، وهكذا يضاعف لها العذاب أضعافاً في نفسها وبمن تتصل به، أما المصابة بمرض السيلان فقد تلوث عيني مولودها بالتهاب يؤدي به إلى العمى بسبب شؤم المعصية.

### ثامناً: مرض الأيدز:

وهو ما يعرف بمرض فقدان المناعة المكتسبة ، وهو فيروس يهاجم خلايا الدم فيؤدي بالتالي إلى ضعف جهاز المناعة فيصاب بالأمراض البكتيرية والطفيلية وتضخم الغدد الليمفاوية على ناحيتي الجسم ، مع نقص الوزن ومرض جلدي على شكل بقع قرمزية اللون تشبه آثار الكدمات ، يصاحب ذلك إسهال شديد وصعوبة تنفس وكحة جافة لعدة أسابيع مع اضطراب عقلي وعدم تركيز وخمول والتهاب رئوي وسرطان في الجلد وحمى دائمة وتعرق ليلي مع انخراط جسدي شامل .

وسببه : اتصال جنسي ، شنوذ (لواط) ، وتعاطي المخدرات بالحقن ، نقل الدم عن طريق المشيمة للجنين أو الرضاعة عن طريق اللعاب ، قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ** : ﴿ إِنَّا نَعْمُنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس/١٢ .

هذا المرض <sup>(١)</sup> عقوبة إلهية أهلك آلاف مؤلفة ، ولم يجد الطب اليوم له أي علاج يوقفه. وهذا بلا شك شؤم المعاصي حتى أنه ابتلى به من لا ذنب له عن طريق نقل الدم !

### البلاء موكل بالمنطق:

في الحديث: « لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويتليك » <sup>(٢)</sup> ، والشماتة : أن يعير المسلم أخاه المسلم بذنب قد تاب منه ، أو يستهزئ بشكله أو منطقه أو حركاته ، وهذا أمر خطير قلما يُفطن إليه ، وفي الأثر: (من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله) رواه الترمذي.

وقال الإمام أحمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : سمعت الحسن يقول: (كنا نحدث أنه من عير أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله عز وجل). <sup>(٣)</sup>

(١) ومن تلك الأمراض التي بدأت تفتك بالبشر (السرطان المرعب) والجلطة والفشل الكلوي إلخ وهو حكم بالإعدام إذا لم يتدارك الله المريض برحمته وهي ناتجة عن تلوث الأرض بالأشعة ومخلفات المتجات الصناعية وسوء التغذية وقبح لعادات والانحرافات عن سنن الله وقبل هذا كله شؤم المعاصي قال تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون). انظر الطب محراب الإيمان د/ خالص جليبي ص: ١٢٤ .

(٢) رواه الترمذي والطبراني وغيرهما عن معاذ مرفوعاً وقال الترمذي: إنه حسن غريب انظر: تمييز الطيب من الخبيث لعبد الرحمن الأثري ص: ١٧١ ، وانظر: الأذكار للنووي ص: ٥٤٢ .

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد ص: ٣٤٢ .

وقال ابن سيرين رحمته: (عيرتُ رجلاً بالإفلاس فأفلس!).  
 وقال ابن الجوزي رحمته: (قال شخص: عيرتُ شخصاً قد ذهب بعض أسنانه  
 فانتشرت أسناني!). (١)

وينقل عن بعض السلف قوله: (لوسخرت من كلب لحشيت أن أحول كلباً).  
 ووالله إن هذا مشاهد ونتائج واضحة سواء كانت في المستهزئ أو في ذريته،  
 وذلك كله بسبب شؤم المعصية وما تجره من مأس، ولا يرد هذا البلاء إلا هذا الدعاء  
 العظيم (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً)،  
 ويقول ﷺ: « من قاله لم يصبه ذلك البلاء ». (٢)

### اللعن وشؤمه:

اللعن هو السمة الغالبة في أكثر حديث الناس، وهذه من البلايا التي عمت  
 وطمّت، وقد يصدق علينا حديث رسول الله ﷺ لما سئل عن السقارين، قال:  
 «نشء يكونون في آخر الزمان، تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا: التلاعن». (٣)

وانظر إلى شؤمها في هذا الحديث عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « إن  
 العبد إذا لعن شيئاً سعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط  
 إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساعاً،  
 رجعت إلى الذي لعن، فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها». (٤)

بل يتعدى هذا الشؤم إلى حرمانه من الشهادة والشفاعة، كما في حديث أبي الدرداء  
 قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يكون للعانون شفعاء ولا شهداء ». (٥)

ويتناوله شؤم المعصية حتى ولو كان الملعون غير عاقل، كما في حديث ابن عباس

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ٣٩١.

(٢) الفوائد لابن القيم ص: ٢٥٧ قاله ابن مسعود سير أعلام النبلاء ١/٤٩٦.

(٣) رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم، انظر: مجموع أخبار آخر الزمان للمشعلي ص: ١٢٩.

(٤) رواه أبو داود، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني، رقم الحديث ٤٩٠٥.

(٥) رواه مسلم وأبو داود، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني، رقم الحديث ٤٩٠٧.

في الرجل الذي لعن الريح فقال النبي ﷺ: « لا تلعنها فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه». (١)

ومن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه بطريق غير مباشر، كما أخبر ﷺ: « يسبُّ الرجل فيسبُّ أبه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه» (٢)، ويقاس على اللعن تفسيق أو تكفير المؤمن. (٣)

### النسواس:

وسببه شؤم المعاصي السابقة فإذا تاب الرجل من ذنوبه جاءه الشيطان يخذله ويذكره ذنوبه السابقة حتى ييأس من رحمة الله، بينما المؤمن الذي لم ينتهك حرمة الله مطمئن القلب فلا يجد الشيطان مدخلاً عليه من هذا الجانب (٤)، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة) (٥)، وقال ﷺ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ الشورى/٣٠.

### وجماع ذلك كله:

هذا الحديث العجيب: قال وهب بن منبه رحمته الله: إن الرب - تبارك وتعالى - قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: (إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت بركت، وليس لبركتي نهاية، وإني إذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد). (٦) وهذا لا يعارض قوله ﷺ: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ الزمر/٧، ولكن الإنسان بشؤم معصيته يهين لأبنائه وذريته رفقة السوء وطريق الشر والغواية، فلا تكون لذريته حماية رب العالمين وحفظه وتوفيجه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ كهف/٨٢، فالحذر الحذر من كل معصية تدرك بشؤمها السابع من الولد.

(١) مختصر صحيح سنن أبي داود للألباني ص: ٣/٩٢٧، رقم الحديث ٤١٠١.

(٢) مختصر صحيح البخاري للزيدي ص: ٤٦٦ رقم الحديث ٣٠٠٧.

(٣) حديث للنبي صلى الله عليه وسلم: (لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) مختصر صحيح البخاري ص: ٤٦٩، رقم الحديث: ٢٠٣٠.

(٤) أدركت هذا من خلال رقية كثر من الناس وهذا حكم غائب.

(٥) الفوائد لابن القيم ص: ١٠٦.

(٦) الزهد للإمام أحمد ص: ٦٩.

## الفصل الخامس

### أثار المعاصي على العبد

وللمعاصي من الآثار القبيحة المدمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله فمنها <sup>(١)</sup> :

- ١ / حرمان العلم: فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئه.
- ٢ / وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا تقارنها لذة أصلاً.
- ٣ / وحشة تحصل بينه وبين الناس، لا سيما أهل الخير والصلاح.
- ٤ / تعسير أموره: فلا يتوجه إلى أمر إلا ويجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.
- ٥ / ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس به فتوهن قلبه وبدنه وتحرمه الطاعة.
- ٦ / المعاصي تقصر العمر، وتدمق بركته إلى الأبد، والعياذ بالله.
- ٧ / المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها.
- ٨ / وهي من أخوفها على العبد: أنها تضعف القلب عن إرادته فتقوى المعصية وتضعف التوبة.
- ٩ / ينسلخ من القلب استقباحتها، فتصير له عادة حتى يفتخر بالمعصية فلا يعافى.
- ١٠ / تطفئ من القلب نار الغيرة، وذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب.
- ١١ / تدخل العبد والعياذ بالله تحت لعنة رسول الله ﷺ .
- ١٢ / حرمان العاصي من دعوة رسول الله ﷺ ، ودعوة لللائكة الكرام المستغفرين للمؤمنين.
- ١٣ / تستدعي نسيان الله لعبده، وذلك هو الهلاك: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ الحشر/ ١٩ .

(١) انظر: كتاب الجواب لكافي لابن القيم ص: ٥٤ حتى ١٠٧، بتصرف.

١٤ / الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/ ١٤ .

١٥ / ومن عقوباتها: ما يلقيه الله - سبحانه - من الرعب والخوف في قلب العاصي، فإن الطاعة حصن الله العظيم.

١٦ / نخون العبد في لحظات العسر والشدة، وخاصة عند الاحتضار فتسوء خاتمه. (١)

### ✽ آثار ترك الذنوب والمعاصي ( في الدنيا ) :

قال ابن القيم رحمه الله (٢): (سبحان الله رب العالمين! لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا: إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقرّة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانسراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والحزن، وعز النفس عن احتمال النذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسبه، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم، والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم له، وحميتهم له إذا أودى، أو ظلم، وذبحهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن عنه، وتنافس الناس على خدمته، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجدان حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين له، ودعائهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له، وإقباله عليه، وفرحه بتوبته).

(١) وهذا مشاهد بكثرة عند ساعة الاحتضار نسأل الله السلامة.

(٢) انظر: الفوائد لابن القيم ص: ١٥٢، ١٥١ بتصرف.

### ✽ آثار ترك الذنوب والمعاصي (إذامات العبد) :

تلقاه الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا يحزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة، ينعم فيها إلى يوم القيامة.

### ✽ آثار ترك الذنوب والمعاصي (في الآخرة) :

إذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق، وهو في ظل العرش فإذا انصرفوا بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. (١)

فتطوى لمن ترك الذنوب، وكما قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة). (٢)

(١) انظر: الفوائد لابن القيم ص: ١٥٢ .

(٢) الزهد للإمام أحمد ٢/٢٤٢ .

## الفصل السادس

### التوبة وشروطها

توبة العبد تقبل بشروط ثلاثة: **الندم على فعل الذنب، والإقلاع عنه، والعزم على أن لا يعود إليه،** (والرابع: رد المظالم إلى أهلها إن وجدت حقوق للآخرين)، ولا بد أن تكون التوبة قبل فوات وقتها.

قال الإمام ابن القيم رحمته: (فأما الندم: فهو الندم على ما سلف من الذنوب، وأما الإقلاع: فهو الإقلاع عن الذنب في الحال، وأما العزم: فهو العزم على أن لا يعاوده في المستقبل). (١) قال النبي ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**». (٢) فلا بد من المبادرة إلى التوبة على سبيل الفور، يقول الغزالي رحمته: (أعلم أنه إذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة، فمتناول سموم الدين وهي (الذنوب) أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن). (٣)

ويقول الحسن البصري رحمته: (اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، ونلمه عليه مفتاح توبته، ولا يزال العبد يهتم بالذنب حتى يكون له أنفع من بعض حسناته). (٤)

وقال بكر بن عبدالله المزني رحمته: (إن أعمال بني آدم ترفع، فإذا رفعت صحيفة فيها استغفار رفعت بيضاء، وإذا رفعت صحيفة ليس فيها استغفار رفعت سوداء). (٥)

فالاستغفار صفة المؤمن، وقد قال النبي ﷺ: «**مثل المؤمن مثل السنبلة، تستقيم مرة، وتخرُّ مرة، ومثل الكافر مثل الأرزة، لا تزال مستقيمة حتى تخرُّ ولا تشعر**». (٦)

(١) تهنيب مدارج السالكين ص: ١٣٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير ٤٣٩١، رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/١٥٥.

(٤) ذم لهوى لابن الجوزي ص: ١٠٣.

(٥) ذم لهوى لابن الجوزي ص: ١٧٤.

(٦) صحيح الجامع الصغير ٥/٢٠٠.



يقول النبي ﷺ: « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإنني أتوب في اليوم مائة مرة ». (١) فإذا كان محمد ﷺ يستغفر الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! فنحن من باب أولى، وقد انغمسنا في أحوال الذنوب.

أنظر إلى فرحة الله بتوبة عبده وهي لا تنفعه ولا تضره، قال النبي ﷺ: « الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح ». (٢)

فتجب المسارعة إلى التوبة، لأن تأخير التوبة بجد ذاته يحتاج إلى توبة، يقول ابن القيم رحمته: (وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده: أنه إذا تاب من الذنب، لم يبق عليه شيء آخر، وقد يبقى عليه التوبة من تأخير التوبة). (٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: (إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي، فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل، وقد أكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو المدرسة، ولا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبتي). (٤)

وأخشى ما يُخشى على الإنسان اتباع الهوى، لأنه يُهلك صاحبه من حيث لا يدري. ورد في الأثر أن إبليس قال: (أهلك بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا). (٥)

(١) رواه مسلم ٢٧٠٢.

(٢) رواه مسلم ٢٧٤٧.

(٣) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم هذبه عبدالمعزم العزي ص: ١٥٧.

(٤) ابن تيمية بطل الإصلاح الديني ص: ١٢ لمحمود مهدي الاستنبولي.

(٥) حديث صحيح، انظر: النوافخ لعطرة للصفدي ص: ٨٦.

والذي منعهم من التوبة، كما يقول يحيى بن معاذ رضي الله عنه: (طول الأجل، وعلامة التائب: إسبال الدمعة، وحبُّ الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همّة). (١)

فإذا لم توجد تلك العلامة فإنما هو استدرج، فعن عقبة بن نافع قال: قل رضي الله عنه: «إذ رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يجب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدرج». (٢)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رضي الله عنه: «إن الله يُملي للظالم فإذا أخذه لم يُفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود/١٠٢». (٣)

إذن لا بد من التوبة النصوح لجميع الجوارح، قال المحاسب رحمته الله:

(توبة العين: كفُّها عن النظر إلى المحارم (الحرام).

وتوبة السمع: كفُّه عن سماع المحرم.

وتوبة اليد: كفُّها عن تناول المحرم.

وتوبة القدمين: كفُّها عن السعي إلى المحرم.

وتوبة الفرج: كفُّه عن الزنا.

وهكذا جميع الجوارح حتى العقل له توبة، وهي كفُّه عن التفكير في المحرم، واللسان يتوب، فلا يدعو إلى مكروه). (٤)

والمعاصي تمنع الطاعات كما قال الحسن البصري رحمته الله: (إذا لم تقدر على قيام الليل ولا صيام النهار فاعلم أنك محروم، قد كبَّلتك الخطايا والآثام). (٥)

ويقول عبدالله بن المبارك: (من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون في السنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة). (٦)

(١) ذم لهوى لابن الجوزي ص: ١٧٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٧٥.

(٣) الزهد للإمام أحمد ص: ٣٠.

(٤) التوبة للمحاسب، ص: ٥٢.

(٥) حديث صحيح، انظر: التوافخ لعطرة للصفدي ص: ٨٦.

(٦) تذكرة السامع والمتكلم للكناني ص: ٦٨.

ولو عملتَ الطاعةَ حرمتك المعاصي لذتها ، سئل وهب بن منبه رحمته الله : هل يجد لذة الطاعة من يعصي؟ فقال رحمته الله : ( ولا من همَّ (١) ! (أي بالمعصية)).

ووصف الإمام أحمد رحمته الله وقوع العبد في المعصية حينما كان يمشي في الوحل ، ويتوقى ، فغاصت رجله ، فخاض ، وقال لأصحابه : (هكذا العبد لا يزال يتوقى الذنوب فإذا وقعها خاضها). (٢)

فإياك إياك وصغائر الذنوب. يقول الغزالي رحمته الله : (فكبيره واحده تنصرم ولا يتبعها مثلها كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ، ومثلها في ذلك : قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صبَّ عليه دفعة واحدة لم يؤثر) (٣) ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير الأعمال أدومها وإن قل ». (٤)

يقول ابن القيم رحمته الله : ( الإصرار على المعصية معصية أخرى ، والقعود عن تدارك الفراط في المعصية إصرار ورضى بها وطمأنينة إليها ، وذلك علامة الهلاك). (٥)

ومعنى الإصرار هنا كما يقول المحاسبى رحمته الله هو : (أن تبقى في القلب حلاوة المعصية) (٦) يقول الماوردي رحمته الله : (ضاحك معترف بذنبه خير من بأك مُدْلِ على ربه ، وبأكٍ نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه). (٧)

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ٥١.

(٢) الآداب الشرعية للمقدسي ٩٧/١.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٤/١٩٥.

(٤) صحيح البخاري ٦٤٦٥.

(٥) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم هذبه العزي ص: ١٢٣.

(٦) التوبة للمحاسبى ص: ٥٥.

(٧) أدب الدنيا والدين للماوردي ص: ١٠٥.

## الفصل السابع

### مكفرات المعاصي

أعلم -رحمنا الله وإياك وكل مسلم - أنه لا يكفي مجرد التوبة لإبعاد شؤم المعصية كما مرَّ بك، بل لا بدَّ من مكفرات لهذه المعصية حتى تطهَّر تماماً كتطهير سؤر الكلب عندما يَلِغُ في الإناء! ، فقد قال فيه ﷺ: « إذا ولغَ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات، وعفروه الثامنة في التراب». (١)

يقول ابن رجب: ( ويُكفِّرُ المعاصي :

١ / التوبة النصوح: قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لزمير/٥٣.

٢ / الاستغفار: وفي الحديث: « لو لم تذبوا لذهبَ الله بكم ولجاء بقوم يذبون، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم ». (٢)

٣ / الحسنات الماحية: قال ﷺ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود/١٤٤، ويدخل في ذلك أعمال البر والصدقة.

٤ / دعاء المؤمنين للمؤمن: كدعائهم له بالمغفرة وصلاتهم على جنازته فيشفعون له.

٥ / شفاعة محمد ﷺ: كما في الحديث الصحيح: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». (٣)

٦ / المصائب المكفرة في الدنيا: كما في الحديث الصحيح: « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله بها من خطاياها ». (٤) بشرط الصبر عليها.

٧ / رحمة الله وعفوه: بلا سبب من العباد.

يقول ابن رجب: ( فمن أخطأته هذه السبعة فلا يلومن إلا نفسه). (١)

(١) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١١٩ ص: ٤١.

(٢) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١٩٢٢ ص: ٥١١.

(٣) جامع الأصول ٤٧٦/١٠، رقم الحديث ٨٠١٢.

(٤) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١٧٩٨، ص: ٤٧٧.

٨ / والثامنة : وهي تعفير التراب ، قال ابن تيمية رحمته : ( ما يحصل له في القبر من الفتنة ، والضغطة ، والرؤعة ، وأهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها ). (٢)

### ✳ كيف تحمي نفسك من خواطر المعصية ؟ :

يقول ابن القيم (٣) : ( ويحمي نفسك :

- ١ / العلم الجازم بإطلاع الرب - سبحانه - ونظره إلى قلبك وعمله بخواطر.
  - ٢ / حياؤك منه سبحانه وتعالى .
  - ٣ / إجلالك أن يرى منك مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفة .
  - ٤ / خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر .
  - ٥ / إيثارك له أن يساكن قلبك غير محبته .
  - ٦ / خشيتك أن تتولد تلك الخواطر ويستعر شرارها ، فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله .
  - ٧ / أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب الذي يلقي للطائر ليُصاد به .
  - ٨ / أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان في قلب إلا تغلب أحدهما .
  - ٩ / أن تعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له ، فإذا دخل القلب غرق وتاه .
  - ١٠ / أن تعلم أن تلك الخواطر وادي الحمقى وأماني الجاهلين ، فلا تتمر لصاحبها إلا لندامة .
- فإذا غرقت في تلك الخواطر - لا سمح الله - فاستمع إلى تلك القصة التي تُروى عن كسرى ملك الفرس :

أنه خرج إلى الصيد يوماً وأوغل في الركض ، وانقطع عن عسكره ، واستولى العطش عليه ، ووصل إلى بستان فلما دخله ، قال للصبى : أعطني رمانة واحدة . فأعطاه ، فشققها ، وأخرج حبها وعصرها فخرج منها ماء كثير فشربه وأعجبه ذلك الرمان ، فعزم في

(١) تسلية أهل المصائب ص: ٢٥٠ .

(٢) انظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية ص: ٢٩ - ٤٣ .

(٣) انظر: طريق الهجرتين ولب السعادتين لابن القيم ص: ١٧٦، ١٧٥ .

نفسه أن يأخذ ذلك البستان من مالكه ، ثم قال لذلك الصبي : أعطني رمانة أخرى ، فأعطاه ، فعصرها ، فخرج منها ماء قليل فشربه فوجد فيه فصاً مؤذياً ! فقال : أيها الصبي لم صار الرمان هكذا؟ فقال الصبي : لعل ملك البلد عزم على الظلم فلأجل شؤم ظلمه صار الرمان هكذا؟ فتاب أنوشروان في قلبه عن ذلك الظلم ، وقال لذلك الصبي : أعطني رمانة. فأعطاه ، فوجدها أطيب من الرمانة الأولى ! فقال للصبي : لم بُدلت هذه الحالة؟ فقال الصبي : لعله ملك البلد تاب عن ظلمه !.

وعلق الرازي على هذه القصة فقال : فلا جرم أن بقي اسمه مخلداً في الدنيا بالعدل حتى من الناس من يروي عن النبي ﷺ أنه قال : « ولدت في زمن الملك العادل » . (١)

فالحذر الحذر من الذنوب ، وبخاصة ذنوب الخلوات ، في الحديث عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : « لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله ﷻ هباءً منثوراً » . قال ثوبان : يا رسول الله : صفهم لنا ، جلهم لنا ، لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « أما أنهم إخوانكم من جلدكم ، ويأخذون من الليل ما تأخذون ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » . (٢)

وعن أبي السرداء ﷺ قال : (ليحذر امرؤ أن تلغنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر! ثم قال : أتدري ممن هذا؟ قلت لا . قال : إن العبد يخلو بمعاصي الله فيُلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر) ، (٣) لذلك قال ابن الجوزي : (واعلم أنه من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب ، فإن العقوبة تتأخر ، ومن أعظم العقوبة أن لا يُحس الإنسان بها ، وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب) (٤) - عياداً بالله من ذلك - .

(١) تفسير الرازي ١/٢٤٤ .

(٢) رواه ابن ماجه وإسناد صحيح ج٢ ، رقم الحديث ١٤١٨ .

(٣) الجواب الكافي لابن القيم ص : ٤٧ .

(٤) حديث صحيح ، انظر : النوافخ لعطرة للصفدي ص : ٨٦ .

## الفصل الثامن

### عقوبة الذنب واقعة ولو بعد دين ...

لا شك أن الجزاء واقع ، سواءً كانت سيئة أو حسنة ، ومن الاغترار أن يظنَّ المذنب إذا لم يرَ عقوبة أنه قد سُومح ، وربما جاءت العقوبة بعد مدة أو في الآخرة ، وقَلَّ من فعل ذنباً إلا وقُوبل عليه ، فينبغي للإنسان أن يترقّب جزاء الذنوب قَلَّ أن يسلم منه ، وليجتهد في التوبة ، فقد روي في الأثر : **(ما من شئٍ أسرع لحاقاً بشئٍ من حسنةٍ حديثة لذنوبٍ قديمٍ)** . ومع التوبة يكون خائفاً من المؤاخذة متوقفاً لها ، فإن الله تعالى قد تاب على الأنبياء السابقين بالشفاعة ، يقول آدم : ذنبي . ويقول إبراهيم وموسى : ذنبي .

فإن قال قائل : قوله ﷺ : **« مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ »** (النسئ/١٢٣ (١) ، خبرٌ يقتضي أن لا يُجَاوَزَ عن مذنب وقد عرفنا قبول التوبة والصفح عن الخاطئين ؟

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن يُحمل على من مات مُصِراً ولم يتب ، فإن التوبة تجب ما قبلها .

الثاني : أنه على إطلاقه (وهذا الذي اختاره ابن الجوزي وهو وجيه) واستدل على ذلك بالنقل والمعنى .

أما النقل : فإنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر : يا رسول الله أُنْجَازِي بكل ما نعمل ؟ فقال ﷺ : **« أَلَسْتَ تَمْرُضُ ، أَلَسْتَ تَحْزَنُ ، أَلَيْسَ يَصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ ؟ فَذَلِكَ مَا تَجْزُونَ بِهِ »** .

أما المعنى : فإن المؤمن إذا تاب وندم كان أسفه على ذنبه في كل وقت أقوى من كل عقوبة ، فالويل لمن عرف مرارة الجزاء الدائمة ، وأثر لذة المعصية لحظة !

(١) بتصرف من صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ٣٩١، ٣٩٢.

### ★ الاغترار برحمة الله جهل :

بعض الناس يغتر برحمة الله ، وينظر إلى جانب الرحمة فقط ، وينسى أن الله شديد العقاب !

يذكر أبو عمرو بن العلاء : أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدراً ، فقالوا له : لم تقذف المحصنات؟ فقال : أخبروني لو أذنبت إلى والدي ما أذنبته إلى ربي ﷻ أترهما كانا يطيان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوء جمرًا قالوا : لا ، إنما يرحمانك . قال : فإني أوثق برحمة ربي منهما !

قال ابن الجوزي (١) تعليقاً على هذه القصة : وهذا هو الجهل المحض ، لأن رحمة الله ﷻ ليست برقة طبع ، ولو كانت كذلك ما دُبح عصفور ولا أميت طفل ، ولا أُدخل أحدٌ إلى جهنم . والخطأ هنا من وجهين :

أحدهما : أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب .

الثاني : أنه ينسى أن الرحمة إنما تكون للتائب كما قل ﷻ : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ طه / ٨٢ ، وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الاعراف / ١٥٦ .

وفي وقتنا الحاضر عندما يرتكب الشباب المعاصي تسمع بعض الناس يقول : هؤلاء شباب ، والله غفور رحيم ، وينسون أيضاً : أنه شديد العقاب .

(١) تليس إبليس لابن الجوزي ص : ٣٩١ ، ٣٩٢ .



## الفصل التاسع

### ما هو المخرج من شؤم المعاصي؟

حديثنا عن شؤم المعصية وما يسببه من آثار مريعة في الفرد والأمة ؛ لا يعني هذا تقنياً من رحمة الله ، ولكنه التنبيه على خطر المعاصي ، ووجوب الاتصال بالله ﷻ في كل وقت .

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكى عن الله ﷻ قال : « **أذنب عبيدي ذنباً فقال : اللهم اغفر لي ذنبي . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبيدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : عبيدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبيدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك** » .<sup>(١)</sup>

ومعنى هذا الحديث أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ، وأن العبد لا يقنط من رحمة الله مهما عمل من الذنوب ، وأن الاتصال بالله وذكره دائماً مدعاة لغفران الذنوب ، وأن من صفات الله أنه غفور وتواب ، وفي ذلك دلالة على سعة رحمة الله ومغفرته ، لكن ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه حتى ولو تاب منها لعدم علمه بقبول توبته .

يقول ابن الجوزي رحمته الله <sup>(٢)</sup> : ( إنني رأيت أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة ، وكانهم قد قطعوا على ذلك ، وهذا أمر غائب ، ثم لو غفرت ، بقي الخجل من فعلها ، ويؤيد الخوف بعد التوبة أنه في الصحاح : إن الناس يأتون إلى آدم عليه السلام ، فيقول : ذنبي ، وإلى نوح ، وإلى إبراهيم ، وإلى موسى وعيسى <sup>(٣)</sup> صلوات الله وسلامه عليهم ، وكلهم يقول :

(١) مختصر صحيح مسلم للنووي رقم الحديث ١٩٣٥ ، ص : ٥١٤ .

(٢) سيد الخاطر لابن الجوزي ص : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) هذا وهم من ابن الجوزي في نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ففي الصحاح أنه لا يذكر ذنباً .

ذنبى ، فهؤلاء إذا اعتبرت ذنوبهم لم تكن أكثرها ذنباً حقيقةً ، ثم إن كانت ، فقد تابوا منها واعتدروا ، وهم بعدُ على خوف منها ، ثم إن الخجل بعد قبول التوبة لا يرتفع ، وما أحسن ما قال الفضيل بن عياض **رحمه الله** : واسوأته منك وإن عفوت ، فأفٍ والله لمختار الذنوب ، ومؤثر لنة لحظة ، تبقى حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وإن غفر له). (١)

فإذا خاف الإنسان من ذنوبه وعمل صالحاً وتعاهد نفسه بالحسنات الماحية ، فقد يكون الذنب السابق سبباً لدخول الجنة ! أما كيف يحدث هذا؟ فيقول إبراهيم بن أنهم في تفسير هذه الآية الكريمة : **﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾** الرحمن/٤٦ : (إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله **ﷻ**) (٢) ، وعن الحسن **رضي الله عنه** قال : قال رسول الله **ﷺ** : **« إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة . قالوا : يا رسول الله وكيف يدخله الجنة؟ قال : يكون نصب عينه فاراً تائباً ، حتى يدخله ذنبه الجنة . »** (٣)

وقيل لسعيد : من أعبد الناس؟ قال : ( رجل اجترح من الذنوب فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله). (٤)

فإذا أردت أن تخرج من شؤم المعاصي فتعاهد نفسك بالاستغفار والحسنات الماحية ، وكن على خوف من ذنوبك ، واسأل الله حسن الخاتمة .

وأختم بهذه القصة : بكى سفيان الثوري **رحمه الله** ليلة إلى الصباح ، فلما أصبح قيل له : أكلُّ هذا خوفاً من الذنوب؟ فأخذ تبتةً من الأرض ، وقال : الذنوب أهون من هذه ، وإنما أبكي خوفاً من سوء الخاتمة ! وعلق ابن القيم **رحمه الله** على هذا فقال : (وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت ، فتحول بينه وبين حسن الخاتمة). (٥)

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص : ٣٣١ .

(٢) الزهد للإمام أحمد ص : ٤٣٧ .

(٣) الزهد للإمام أحمد ص : ٤٧٤ .

(٤) الزهد للإمام أحمد ص : ٤٦٤ .

(٥) حديث صحيح ، انظر : النوافخ لعطرفة للصفدي ص : ٨٦ .

## الفصل العاشر

معاصي ينبغي تجنبها ، ورد نهيها ﷺ عنها

<b>المعصية و دليلها من الحديث الصحيح الوارد عنه صلى الله عليه وسلم:</b>
<b>الكبر:</b> « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »، الكبر: رد الحق، واحتقار الناس.
<b>الرياء:</b> « من سمع سمع الله به (أي فضحه يوم القيامة)، ومن يرائي يرائي الله به (أي يظهر سريره) ».
<b>الفحش:</b> « إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه ».
<b>الكذب:</b> « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له ».
<b>التجسس:</b> « ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يقرؤون منه صب في أذنه الأثك يوم القيامة ».
<b>التصوير:</b> « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »، « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة »
<b>النميمة:</b> « لا يدخل الجنة نمام »، والنميمة هي: نقل الحديث بين الناس لغرض الإفساد.
<b>الغيبة:</b> « ذكرك أخاك بما يكره » « لما عرج بى مرت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ».
<b>اللعن:</b> « لعن المؤمن كقتله »، « لا يكون اللعان شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ».
<b>الحسد:</b> « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب ».
<b>إفشاء السر:</b> « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها ».
<b>الربا:</b> « لعن رسول الله ﷺ أكل الربا ومؤكله »، « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية ».
<b>إدمان الخمر:</b> « لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ولا كاهن ولا مثنان ».
<b>طلب العلم لأجل الدنيا:</b> « من تعلم علماً مما يبتغى به وجهه لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ».
<b>خروج المرأة متعطرة:</b> « كل عین زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية ».
<b>تكفير المسلم:</b> « أيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه ».
<b>المنتسب لغير أبيه:</b> « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام »، « فمن رغب عن أبيه فهو كفر ».
<b>ترويع المسلم:</b> « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً »، « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعها ».
<b>زيارة النساء للقبور:</b> « لعن الله زورات القبور »، « قالت أم عطية <small>رضي الله عنها</small> : نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا ».
<b>هجر الزوج:</b> « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح ».
<b>غش الرعية:</b> « ما من عبد يسترعبه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ».
<b>التقيا بغير علم:</b> « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه ».
<b>طلب الطلاق:</b> « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة ».
<b>غضب الأرض:</b> « من اقتطع شيراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين ».

<b>الكلام بسخط الله:</b> « وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا. »
<b>الكلام بغير ذكر الله:</b> « لَا تُكثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ. »
<b>المتشبه بغير جنسه وبالكافر:</b> « لَعْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُنْتَشِبَاتِ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمُنْتَشِبِينَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ. » « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »
<b>الوصل والنوش:</b> « لَعْنُ اللَّهِ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ. »
<b>هجر المسلم:</b> « لَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، « مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفِكَ دَمِهِ. »
<b>العائد في هيبته:</b> « الْعَائِدُ فِي هَيْبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْبِهِ. » « لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا. »
<b>النظر إلى المحرمات:</b> « كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ آدَمَ تَصْبِيهُهُ مِنَ الزَّنَا مُذْكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعَانُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا ..... وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْحُ وَيَكْذِبُهُ. »
<b>الخلوة بالأجنبية:</b> « لَا يَخْلُونَ أَحَدَكُمْ بِأَمْرَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَابِلُهُمَا. »
<b>الزواج بلا ولي:</b> « أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهَا فَنَكَحَهَا بِاطِلٍّ فَنَكَحَهَا بِاطِلٍّ. »
<b>العهل للناس:</b> « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا اشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشَرِكُهُ. »
<b>علم العمل بما يعلم:</b> « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى فِي النَّارِ فَتَسْدِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ كُنْتُ أُمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ. »
<b>كتم العلم:</b> « مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ. »
<b>الكذب على الرسول:</b> « إِنَّ كَذِبًا عَلَى لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّلًا فَلْيَتَجَبَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. »
<b>علم التنزه من البول:</b> « اتَّقُوا الْبَوْلَ فَإِنَّهُ أَوْلُ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ فِي الْقَبْرِ. »
<b>سفر المرأة بلا محرم:</b> « لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ. »
<b>النياحة:</b> « مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، « لَعْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النَّائِحَةِ وَالْمُسْتَمِعَةَ. »
<b>إيذاء المصلين:</b> « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَاتِ فَلَا يَقْرِنَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ. »
<b>الحناف بغير الله:</b> « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ اشْرَكَ، « مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ. »
<b>اليمين الكاذبة:</b> « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَفْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ. »
<b>الحناف في البيع:</b> « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُبْقَى ثُمَّ يَمْحَقُ، « الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ مِمَّحَقَةٌ لِلرِّبَا. »
<b>البناء على القبر:</b> « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْصَصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُعَدَّ عَلَيْهِ وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. »
<b>الغدر:</b> « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيُؤَاءَ قَبِيلٍ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ. »
<b>الجلوس على القبر:</b> « لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حِمْرَةٍ فَتُحْرَقَ ثِيَابُهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ. »
<b>الحداد على الميت:</b> « لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ إِلا عَلَى زَوْجٍ. »
<b>المسألة:</b> « ثَلَاثَةٌ أَقْسَمُ عَلَيْهِنَّ وَأَحَدُكُمْ حَدِيثًا فَحَفْظُهُ... وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ. »
<b>التناجش:</b> « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلَا تَتَنَاجَشُوا وَلَا يَبِيعَ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ. »
<b>نشد ضالة بمسجد:</b> « مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَارِدَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَتُنْتَهَانَا. »

<b>المرور أمام المصلي:</b> « لَوْ يَعْلَمُ الْمَارِبِينَ يَدَى الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ. »
<b>ترك العصر والجمعة:</b> « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ » « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوَنَّا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ »
<b>تقصير في الصلاة:</b> « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » ، « بَيْنَ الرَّجُلِ وَالشَّرِكِ تَرَكَ الصَّلَاةَ » .
<b>من دعا لضلالة:</b> « مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » .
<b>منهيات الشرب:</b> « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشَّرْبِ مِنْ فَمِ الْقَرْبَةِ أَوْ السَّقَاءِ » ، « زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الشَّرْبِ قَائِمًا »
<b>السرقة:</b> « وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » ، « لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقَطُّعُ يَدُهُ ... »
<b>الشرب بالشمال:</b> « لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا » .
<b>قطيعة الرحم:</b> « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ » ، « مَا مِنْ نَسَبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِمَصْحَابِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدْخُرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيْعَةِ الرَّحِمِ وَالْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ ، وَإِنَّ أَعْجَلَ الْبِرِّ ثَوَابًا لِمَصْلَةِ الرَّحِمِ حَتَّىٰ إِنْ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُونَ فَجْرَةً فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عِلْدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا »
<b>ترك الصلاة على النبي:</b> « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عَنْهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » « الْبَيْحِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عَنْهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ »
<b>التشديق بالكلام:</b> « إِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثُّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَمَقِّهُونَ »
<b>اقتناء الكلاب:</b> « مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَا شِئِيَّةٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيْرَاطَانًا » .
<b>تعذيب البهائم:</b> « عُدْبِتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ » « لَا تَتَخَلَّوْا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا » .
<b>معادة أولياء الله:</b> « إِنْ اللَّهُ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » .
<b>قتل المستامن:</b> « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بَغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحُهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ » .
<b>حرمان الوارث من إرثه:</b> « مَنْ قَطَعَ مِيرَاثَ وَارِثِهِ ؛ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
<b>من همم الدنيا:</b> « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شِمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَرَّلَهُ » .
<b>اللواط:</b> « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوَطٍ » ، « مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوَطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَعْمُولَ بِهِ » .
<b>الزنا:</b> « فَانْطَلَقَتْ مَعَهُمَا فَإِذَا بَيْتٌ مَبْنِيٌّ عَلَى بِنَاءِ التَّنُورِ ، أَعْلَاهُ ضَيْقٌ ، وَأَسْفَلُهُ وَسِيعٌ ، يُوقَدُ تَحْتَهُ نَارٌ ، فِيهِ رَجُلٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ ، فَإِذَا أُوقِدَتْ ارْتَفَعُوا ، حَتَّىٰ يَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِذَا أَخْمِدَتْ رَجَعُوا فِيهَا ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ » ثم قال : « وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ فِي التَّنُورِ ؛ فَهُمُ الزَّانَةُ » .
<b>الكذب:</b> « وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ » ، « الْمُؤْمِنُ لَا يَكْذِبُ » ، « رَأَيْتَ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أُتِيَانِي فَقَالَ لِي : الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِلْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »
<b>خمس تانتي بخمس:</b> « خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِمْ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُمْ ؛ لَمْ تَطْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يُعْلَنُوا بِهَا إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ التَّمِيمَةُ لَمْ تُكْرَمْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِي مَضُوا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسُّبْحِيِّينَ وَشَبَّهَ الْمُؤْتَبَةَ وَجُورَ السُّلْطَانَ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا كِتَابَةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنْعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يَمْطُرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ » .

## الخاتمة

ينبغي أن نحذر عواقب المعاصي إذا أردنا السلامة في الدنيا والآخرة، وهذا لا يتأتى إلا بترك المعاصي والحذر منها وملازمة الاستغفار.

يقول ابن الجوزي: (ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، وإذا شاء أخذ باليسير، فالحذر الحذر)<sup>(١)</sup>.

هذا ما أحييت الإشارة إليه في هذا البحث لأهمية الموضوع الذي يتناوله من شكوى الناس من قسوة القلوب، ومحق البركات، ووساوس الشياطين، الذي سببه بالتالي شؤم المعاصي - عياداً بالله منها - ، فما كان فيه من خطأ فمن نفسي، واستغفر الله العظيم. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ما دعوة أنفع يا صاحبي :: من دعوة الغائب للغائب

ناشدتك الرحمن يا قارئاً :: أن تسأل الغفران للكاتب

الرياض / غرة محرم ١٤٢١ هـ

وكتبه: أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن السدحان

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص: ١٣٢.

## ثبت المراجع

٢١	أدب الدنيا والدين . لابن القيم .	١	القرآن الكريم .
٢٢	الجواب الكافي . للنوي .	٢	تفسير الرازي . للرازي .
٢٣	الأذكار . لابن الجوزي .	٣	مختصر صحيح البخاري . للزبيدي .
٢٤	صيد الخاطر . لابن القيم .	٤	مختصر صحيح مسلم للمندري تحقيق الألباني .
٢٥	طريق الهجرتين وباب السعادتين . لابن القيم .	٥	صحيح سنن أبي داود . للألباني .
٢٦	الإيمان الأوسط . لابن تيمية .	٦	صحيح سنن الترمذي . للألباني .
٢٧	ذم الهوى . لابن الجوزي .	٧	صحيح سنن ابن ماجه . للألباني .
٢٨	مفتاح دار السعادة . لابن القيم .	٨	صحيح الجامع الصغير . للألباني .
٢٩	التوبة . للمحاسبي .	٩	فتح الباري . لابن حجر العسقلاني .
٣٠	تليس إبليس . لابن الجوزي .	١٠	جامع الأصول . لابن كثير .
٣١	الآداب الشرعية . للمقدسي .	١١	النوافح العطرة . للصفدي .
٣٢	تسليمة أهل المصائب . لابن رجب .	١٢	تأويل مشكل الحديث . لابن قتيبة .
٣٣	الحسن البصري . لابن الجوزي .	١٣	تميز مشكل الحديث . عبدالرحمن الأثري .
٣٤	نثر الدرر . لأبي سعيد الآبي .	١٤	الحلية . لأبي نعيم .
٣٥	الأمراض الخبيثة عقوبة الهبة . د. عبدالحميد قضاة .	١٥	تذكرة السامع والمتكلم . للكناني .
٣٦	الطب محراب الإيمان . د. خالص جلبي .	١٦	تهذيب مدارج السالكين . عبدالنعم لعزي .
٣٧	مجموع أخبار آخر الزمان . للمشعلبي .	١٧	إحياء علوم الدين . للغزالي .
٣٨	ابن تيمية بطل لإصلاح الدين . لمحمد مهدي استانبولي .	١٨	فتاوى شيخ الإسلام . لابن تيمية .
٣٩	التدريبات العملية في علم الموجة الذاتية . م/ يحيى حمزة شووك .	١٩	الزهد . لابن القيم .
٤٠	معاني القرآن الكريم . للإمام أبي جعفر الخاس .	٢٠	الفوائد . للماوردي .
٤١	معاني القرآن . للزجاج .		

## الفهرس

صفحة	الموضوع	م
١	إهداء	١
٢	تقديم د/ الشيخ عبد الله الجبرين	٢
٣	مقدمة المؤلف	٣
٥	تمهيد : منشأ المعصية	٤
٧	الفصل الأول : أسباب المعاصي	٥
٨	الفصل الثاني : أثر المعصية في الأمم السابقة	٦
٩	يوسف عليه سلام / إخوة يوسف الأحد عشر و (بنو إسرائيل) من ذريتهم	٩
١٠	شؤم فرعون على نفسه وأهل بيته وزبانيته / أقوام صالح وشعيب وهود ونوح ولوط	١٠
١١	سر تعذيب الكفار في نار جهنم العذاب الدائم	١١
١٢	الفصل الثالث : أثر المعصية في أمة محمد	٧
١٢	الرجل الذي قال لمحمد ﷺ : « ما عدلت ! » / إخفاء ليلة القدر / لناقة الملعونة	١٢
١٣	دعوة الرسول ﷺ على مضر / منع القطر / عقاب الله يعم الصالح والطلح	١٣
١٤	قول النبي ﷺ للصحابة : ( قوموا عني ) :	١٤
١٥	الفصل الرابع : أمور خطيرة لا يفطن لها العبد عقوق الوالدين وقطيعة الرحم	٨
١٦	الزنا ومقدماته / المناعة الطبيعية /	١٦
١٧	الوسط وطريق الانتقال / جرثومة الزهري تتحدى العلماء في العالم / خاصية القلدة / الازدواجية / الوقاية / انتشار متعدد	١٧
١٨	مرض الايدز / البلاء موكل بالمنطق	١٨
٢٠	اللعن وشؤمه / الوسواس / جماع ذلك /	٢٠
٢٢	الفصل الخامس : آثار المعاصي على العبد	٩
٢٤	آثار ترك الذنوب والمعاصي (في الدنيا) :	٢٤
٢٤	آثار ترك الذنوب والمعاصي عند الموت / آثار ترك الذنوب والمعاصي في الآخرة .	٢٤
٢٥	الفصل السادس : التوبة وشروطها	١٠
٢٨	الفصل السابع : مكفرات المعاصي	١١
٢٩	كيف تحمي نفسك من خواطر المعصية	٢٩
٣١	الفصل الثامن : عقوبة الذنب واقعة ولو بعد حين	١٢
٣٣	الفصل التاسع : ما هو المخرج من شؤم المعاصي	١٣
٣٥	الفصل العاشر : معاصي ينبغي تجنبها ورد نهيها ﷺ عنها	١٤